الرياض

حروف و افكار

أمريكا تسأل نفسها

منح الصلح

كان من المستبعد منطقياً منذ البدء ان تحدث في الولايات المتحدة حادثة بحجم عدوان 11ايلول ولا يكون المذنب إلا العدو الخارجي، سواء كان مسلماً أصولياً أفغانياً أو غيره، فقد اثبتت التجارب انه، وخاصة في الدول المتقدمة، لابد في النهاية ان تحاسب الدولة نفسها بالكشف عن خطأ ما أو تقصير ما أو اهمال مصدره الذات لا الآخر فقط، فالامم التي تلعن الشيطان فقط في أزماتها لا تكون عادة أمماً متقدمة ولا جادة في ادارة حاضرها وصناعة مستقبلها.. بل ان محاسبة الذات هي المرادف الأصدق للوعي والضمير معاً.

إن بعض المفكرين يعتبر ان أهم ثورة في الحقوق وفي القضاء هي تلك الثورة التي لم تحصل بعد والتي ترفض ان يكون الجرم في إنسان واحد وجهة واحدة، وان تكون البراءة الكاملة في الجانب الآخر.

وتكثر الكتابات في الدول الغربية وفي أمريكا بالذات التي تتكهن ان القوانين الجزائية بنوع عام سوف تتجه في زمن قريب إلى ان تشبه أكثر فأكثر قوانين المرور بحيث يقال لسائقي سيارتين متصادمتين ان أحدهما مخطئ بنسبة 30في المئة والآخر بنسبة 60في المئة، فمن اندر النادر ان يكون جانب واحد ارتكب الذنب كله.

إن الجو في الولايات المتحدة يتجه شيئاً فشيئاً إلى ان تتراكم الآراء والأفكار والبينات التي تبحث عن نقاط الضعف التي سهّلت لاعداء البلاد ان يتجرأوا ثم يقرروا وينفذوا ذلك الشر الخطير الذي اسمه عدوان 11ايلول.

إن أمريكا الآن تسأل نفسها: ترى أي شيء فيّ جعل أناساً معادين يتصورون ان باستطاعتهم ان يهاجموا بنجاح وزارة الدفاع ومركز التجارة العالمي، أي موقعين يمثلان القيادة العسكرية والاقتصادية للدولة والمجتمع؟

التهمة التي توجهها أمريكا اليوم لأمريكا في موضوع 11ايلول هي انه ثبت ان هناك معلومات لدى مكتب التحقيقات الفيدرالي "اف بي آي" ووكالة الاستخبارات المركزية "سي آي إي" لم تجر قراءتها بالشكل الجدي المفروض، ولو تم ذلك في حينه لما وقع العدوان المخزي بقدر ما هو مجرم.

يوماً فيوماً، بل ساعة فساعة، تخرج إلى العلن في واشنطن وغيرها داخل أمريكا وخارجها مواد تشير إلى ان ما حصل كان يجب ان يكون متوقعاً ومكشوفاً بشكل تام منذ زمن غير قصير.

وكل يوم تعطى للقارئ الامريكي تفاصيل عن أشياء كانت تُدبر منذ زمن ضد الولايات المتحدة، وعند بعض المحللين ما يشبه الهواية الآن بالاطلاع على الأدلة التي كانت موجودة عما سيحصل ليعرفوا ويعرّفوا الناس كم كان هذا الذي وقع في 11ايلول قابلاً للرصد، بل وللمنع لو ان المؤسسة الأمريكية كانت تُدار بالشكل السليم بعقلية وبصيرة جديتين بالمعنى الكامل.

إن المعلومات المخزونة والأرقام والمواعيد كانت كلها هناك جاهزة لتتحدث عن المخططات والنوايا والامكانات المعادية بمجرد الربط بينها. ولكن مع الأسف بقيت أرقاماً وحروفاً وحقائق ميتة تؤخذ دون أن يُستفاد منها لرؤية ما هو أبعد من الأنف.

إن عدم وجود المعلومات فضيحة. ولكن الفضيحة الأكبر منها هي ان تكون معلومات متراكمة وكافية ولا تكون موضع استعمال لحفظ الأمن الداخلي والخارجي والتأشير على العمل المطلوب بشكل بدهي أمام ضخامة المعلومات عن مخططات ضد الولايات المتحدة ليس ما تم منها إلا جزء وبقية الاجزاء يمكن ان ينفذ أي وقت.

المتفائلون بالمستقبل الأمريكي يقولون ان الخسارة التي تمت، على ضخامتها، لا توازي فوائد اليقظة التي تعيشها أوساط كثيرة اليوم في الولايات المتحدة حول الافادة الكاملة من الكمية الضخمة.

والآخذة في الضخامة المتزايدة من المعلومات القابلة للتحول إلى سياسات ومخططات مستقبلية تكون بها الولايات المتحدة قائدة فعلية للعالم كله، وليس لنفسها فقط، باتجاه أمنها الكامل أولاً ثم أمن العالم كله.

ويقول هؤلاء المتفائلون انه كما كانت أزمة عام 1929م الاقتصادية منطلقاً لخروج أمريكا لعصر جديد من السعة والبحبوحة والقدرة، يمكن ان تكون أحداث 11ايلول سبباً لوثبة تاريخية تجعل أمريكا بالفعل صانعة الأمن والاستقرار والانتاج في داخلها ومصدّرة ذلك للعالم أجمع.

فالى جانب الخائبين والمذعورين في أمريكا، يتعاظم اليوم عدد المتفائلين الذين يجعلون قراءة ما حدث سر الانطلاقة الكبرى الكفيلة باخراج الأمريكيين مما هم فيه اليوم من وساوس إلى الغد الآمن اولا والجاعل من الأمن سبباً لمحبة العالم والعطاء له وقيادته إلى آفاق يجب ان تكون أمريكا الاقدر على الحلم بها.

لقد أشعر عدوان 11ايلول أمريكا بأنها معرضة كما أي دولة في افريقيا الفقيرة للخطر والخسارة والدمار.. وكان يمكن ان تستمر كذلك لولا اليقظة الكبرى التي سببتها لها العين النقدية للعلماء الامريكيين والمثقفين الامريكيين والساسة المجددين من الجمهوريين والديمقراطيين على حد سواء الذين ايقظوا الغرور القومي الأمريكي من سباته وأعادوا لقادتهم حسهم الأصيل بالمسؤولية في المساهمة بايجاد عالم آمن لا أمريكا آمنة فحسب، فالنظرة إلى افغانستان مثلا لا يجوز ان تستمر باعتبارها مصنعاً للشر والإرهاب، وكذلك مناطق اخرى من العالم تعودت العين الغربية المتعالية ان تنظر اليها على انها مصدر الحقد والتخلف.

ولعل رحلة بوش الأخيرة إلى ألمانيا وفرنسا وروسيا وايطاليا قد اعطته نظرة أوسع إلى مشاكل الشعوب والناس في كل مكان، وزرعت في نفسه الشعور بأن البشرية ينبغي ان تسير معاً في طريق الابتكار والتقدم والرخاء والقيم.

ولعله صحح من نظرته إلى العالم ذلك الجانب الذي يتصور ان الولايات المتحدة كانت دائماً وفي كل موضوع على حق، وان الشر لا يمكن ان يستفحل في المحيط الإنساني الذي يوجد فيه شعور كاف بالحصول على الحقوق والثروات والأمن.

ولعله راجع الكثير من تجاربه وتجارب السياسة الامريكية السابقة التي ظنت في وقت من الاوقات ان الغرب مرادف للخير والشرق مرادف للشر، فصنعت من حيث لا تدري شراً في هذا الشرق نفسه وربما أيضاً في بعض الغرب.

لقد كتب المفكر الفرنسي الكسيس دوتوكفيل منذ زمن غير قصير ان أمريكا هي صانعة المساواة في العالم، وانها تنطلق في ذلك من حياتها بالذات إلى حياة الآخرين.

ولا شك انها، وان لم تكن دائماً كذلك، تبقى الاقدر على ان تصنع للعالم شيئاً لخيره لا لخيرها وحدها، وحبذا لو زار بوش الشرق الأوسط المعذب بالمشروع الصهيوني ليرى بعينه كم ان صداقة الولايات المتحدة لاسرائيل حملتها اعباء ومشكلات وخصومات ليست لها بها مصلحة.

ولعله كان يتجنب بذلك الوقوع في الخطأ الذي وقع فيه سلفه كلينتون الذي شعر في آخر عهده بضرورة زيادة التعرف إلى هذه المنطقة التي تشكو كثيراً من عدم وجود نظرة أمريكية عادلة إلى قضاياها.

وقد كان خبراً جيداً لكل عربي ان يكون الرئيس بوش قد اطلع من ولي العهد السعودي الأمير عبدالله بن عبدالعزيز على صور ومشاهد الدمار وعمليات العنف والتقتيل التي يتعرض لها العرب في فلسطين، وأن يكون تأثر بذلك على ما روى الأمير عبدالله بن عبدالعزيز.

إن النظارات الصهيونية التي وضعها كثير من قادة العالم الغربي على عيونهم، فقد أضرت بالشرق والغرب معاً، ومن المؤلم ان التوراة نفسها، وهي بالدرجة الاولى قصة الشعب اليهودي، تفوق بالحجم الذي تعطيه للشعب العربي وللعرب، ما يريد اعطاءه لهم أصدقاء إسرائيل، فالتوراة تنص على أن أكثر أهل فلسطين هم من العرب، وانهم هم أهل البلد الاصليون، حتى ان بعض الساسة الإسرائيليين طلب عدم توزيع التوراة بشكل واسع على غير اليهود لانه، كما قال، منها يتبين ان اليهود كانوا دائماً قلة في المنطقة التي تضمها إسرائيل الحالية.

لقد قال الرئيس بوش في تصريح أخير له دافع به عن "اف بي آي" ان الشرطة الفيديرالية الأمريكية هي في صدد التغيير، وهي تتواصل بشكل أفضل مع وكالة الاستخبارات المركزية الأمريكية، ويتقاسم الجهازان الآن المعلومات التي في حوزتهما، واضاف: "اننا في حاجة إلى أفضل المعلومات الممكنة في هذه الحرب الجديدة على هذا العدو الكامن، يجب ان نعرف فيم يفكر فيه وما يعد له؟، فالعمل الرئيسي لاجهزة الأمن الأمريكية يتمثل في منع شن هجمات جديدة."

وقال: "كانت الشرطة الفيديرالية تطارد المجرمين ذوي الياقات البيض، وهذا جيد، وكانت تطارد الجواسيس وهذا أيضاً جيد، غير ان عليها الآن القيام بمهمة أهم تتمثل في منع حصول اعتداءات جديدة."

وكل عربي سمع بهذا الكلام سرّه ان يكون بوش في معرض التفكير باصلاحات عميقة داخل الشرطة الفيديرالية التي باتت تتمتع، كما هو معروف، بصلاحيات واسعة في مجال التنصت على المكالمات الهاتفية والبريد الالكتروني والتفتيش.

ولكن ما يجب الا ينساه بوش هو ان الخطر الاكبر كان ومايزال على العين السياسية الأمريكية هو النـظارات الصـهيـونية، وهذه جعلت هدفاً لها ان تصـور كل عـدو للصـهيونية عدواً للولايات المتحدة، فأكثرت كثيراً من اعداء الولايات المتحدة بدلا من ان تقللهم